بسم الله الرحمن الرحيم   صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

كتاب مفتاح الفلاح ومصباح الأرواح في ذكر الكريم الفتاح

للشيخ العالم العلامة المحقق الولي
العارف الموفق تاج الدين عبد الكريم
بن عطاء الله الاسكندري الشاذلي
نفعنا الله به ورضي عنه

الحمد لله فاتح اقفال القلوب بذكره * وكاشف اسرار الغيوب
ومظهر السر الذي يراه من سره * ومظهر العجائب من عالم امره * ورافع
اعلام الزيادة للعابد بشكره * احمده على ان جعلنا من اهل توحيده
واشكره شكرا ينيلنا فضله ومزيده * وبعد فان ذكر الله مفتاح
الفلاح ومصباح الارواح * بفضل الله الكريم الفتاح * وهو العمدة
في الطريق * ومعول اهل التحقيق * ولم ار من صنف فيه كتابا كاملا كافيا
ولا مجموعا شاملا شافيا دعاني ذلك لما اشار بذلك صالح محب للنصائح
الى ان شرعت في كتاب جمعت فيه منه ما تيسر * وحررت منه ما تنكر *
ارجو به الطالب من السالكين * ومنحت انواعا في المواهب * راجيا من الله
في ذلك الثواب * ودعاء الطالب لعلهم يصلون به من الطلاب * وانشر
باساليب النحو بلا ادا الحما   لا تنسيني عند عطف الرحال
وعلى الله اعتمد وبه اعتصم * ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
ورتبته على قسمين * القسم الاول يشتمل على مقدمة وفصول وابواب
واصول *

المقدمة في ماهية الذكر وبيانه

الذكر هو التخلص من الغفلة والنسيان بدوام حضور القلب مع الحق وقيل ترديد
اسم المذكور بالقلب واللسان وسواء في ذلك ذكر الله او صفة من صفاته
او حكم من احكامه او فعل من افعاله او استدلال على شيء من ذلك او دعاء

او ذكر

او ذكر رسله او انبيائه او اوليائه او من انتسب اليه او تقرب اليه بوجه
من الوجوه او بسبب من الاسباب او بفعل من الافعال بنحو قراءة او ذكر
او شعر او غناء او محاضرة او حكاية * والمتكلم ذاكر والمتفقه ذاكر
والمدرس ذاكر والمفتي ذاكر والواعظ ذاكر والمتفكر في عظمة الله وجلاله
وجبروته وآياته في ارضه وسماواته ذاكر * والممتثل ما امر الله به
والمنتهي عنه ذاكر * والذكر قد يكون باللسان وقد يكون بالجنان وقد
يكون بالاعضاء الانسان وقد يكون بلا غفلان ولا جهال والجامع لذلك كله
ذاكر كامل * فذكر اللسان هو ذكر الحروف بلا حضور وهو
الذكر الظاهر وله فضل عظيم تشهد به الآيات والآثار وجاءت به الاخبار *
فمنه المقيد بالزمان والمكان ومنه المطلق والمقيد والمقيد كالذكر في الصلاة
وعقبها والحج وقبل النوم وبعد اليقظة وقبل الاكل وبعده وعند ركوب
الدابة وفي طرفي النهار وغير ذلك * والمطلق ما لا يتقيد بزمان ولا مكان
ولا وقت ولا حال فمنه ما هو ثناء على الله تعالى كما في الكلمات الاربع من
هذه الكلمات وهي سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر
ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم * ومنه ما هو ذكر فيه دعاء
مثل ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا الآية * ومنه مناجاة وكذلك
اللهم صل على سيدنا محمد وهو اشد تأثيرا في قلب المبتدئ من الذكر الذي لا
يتضمن المناجاة لان المناجي يشعر قلبه قرب من يناجيه وهو مما يؤثر
في قلبه ويلبسه الخشية * ومنه ما هو ذكر فيه رعاية او طلب دنيوي
او اخروي * فالرعاية مثل قولك الله معي الله ناظر الي الله بي محيط
فيه رعاية لمصلحة القلب فانه ذكر يستعمل لتقوية الحضور مع الله
تعالى وحفظ الادب معه والتحرز من الغفلة والاعتصام بالله من الشيطان
الرجيم وحضور القلب مع العبادات * فصل وما من ذكر الا وله
نتيجة تخصه فاي ذكر استعملت اعطاك ما في قوته * والذكر مع الاستغراق
هو الذي يصل الى العين ولا كذلك المناسب للذكر قال الامام الغزالي

حقيقة هو استيلاء المذكور على القلب وامحاء الذكر وخفاؤه وقال الشيخ
له قشور ثلاثة بعضها اقرب الى اللب من البعض واللب وراء القشور الثلاث
وانما فضل القشور لكونها طريقا اليه فالقشر الاعلى ذكر اللسان فقط
ولا يزال الذاكر يواظب الذكر بلسانه ويتكلف احضار القلب معه اذ القلب
يحتاج الى موافقته حتى يحضر مع الذكر ولو ترك وطبعه لاسترسل في اودية
الافكار الى ان يشارك القلب اللسان ويحرق نور القلب الشهوات والشياطين
ويستولي ذكره ويضعف ذكر اللسان عند ذلك وتمتلي الجوارح والجوانح بالانوار
وينظف القلب من الاغيار وينقطع الوسواس ويسكن تحت الشغال ويصير
محلا للواردات ومرآة صقيلة للتجليات وللمعارف الالهيات واذا سرى
القلب الى الذكر وانتشر في الجوارح ذكر الله كل عضو بحسب حاله وقال الجريري
كان من اصحابنا رجل يكثر ان يقول الله الله فوقع يوما على راسه جذع فشج
راسه وسقط الدم فاكتتب بالدم على الارض الله الله

فصل

الذكر نار لا تبقي ولا تذر فاذا دخل بيتا يقول انا لا غيري وهو من معاني لا اله
الا الله فان وجد فيه حطبا احرقه فصار نارا وان كان فيه ظلمة كان نورا
فنورت وان كان فيه نور صار نورا على نور و الذكر يذهب من الجسم الا
جزاء الزائدة الحاصلة من الاسراف في الاكل ومن تناول الغذاء الحرام واما
الغذاء الحاصل من الحلال فلا يبرد عليه فاذا احرقت الاجزاء الخبيثة وبقيت
الاجزاء الطيبة سمعت من كل جزء ذكرا كانه ينفخ في صور واول ما يقع
الذكر في ابن آدم يتجر فيه كصوت الكتور والذكر سلطان اذا نزل
موضعا نزل باصواته لان الذكر يدل على سوى المذكور فاذا اتكت انفي الا
ضداده كلها كما يخرج من اجتماع الماء والنار ويعرف ذلك تسمع اصواتا
مختلفة مثل خرير الماء ودوي الريح وصوت النار اذا تاججت وصوت الاجنحة
وخبط الخيل وصوت اوراق الاشجار اذا هبت عليها الرياح وذلك ان
الادمي مركب من كل جوهر دني وشريف من التراب والماء والنار والهواء
والارض والسماء وما بينهما فمعنى الاصوات الحاصلة كل اصل عنصر من هنا

الجواهر

الجواهر من سمع منها شيء من هذه الاصوات فهو يسبح الله تعالى فيه
بكل لسان وذلك نتيجة ذكر اللسان بقوة الاستغراق ومهما صار العبد الى حال
اذا امسكت عن الذكر تحرك القلب في الصدر حركة الجنين في بطن امه وذلك ان
القلب يطلب الذكر فلما جاز القلب قال عيسى بن مريم عليه السلام الذكر
لبنة واذا اقوى وكثر صعد منه حنين الى القلب وصوت وصعقات ضرورية
تتوقد الى الذكر والمذكور و ذكر القلب يشبه رنة النحل لا صوت رفيع
مشوش ولا خفي يستتر بالخفاء واذا استمكن المذكور من القلب وامحى الذكر
وخفي فلا يلتفت الذاكر الى الذكر ولا الى القلب فان التفت له في اثناء ذلك
التفاته الى الذكر او الى القلب فذلك
حجاب شاغل وذلك هو الفناء وهو ان يفنى الانسان عن نفسه
فلا يحس بشيء من ظواهر جوارحه ولا الاشياء الخارجة عنه ولا العوارض
الباطنة فيه بل يغيب عن جميع ذلك ذاهبا الى ربه اولا ثم ذاهبا فيه اخرى
وان خطر له في اثناء ذلك انه فني عن نفسه بالكلية فذلك شوب وكدورة
والكمال ان يفنى عن نفسه وعن الفناء والفناء عن الفناء غاية الفناء
والفناء اول الطريق وهو الذهاب الى الله والهدى بعده واعني بالهدى
هدى الله كما قال عليه السلام اني ذاهب الى ربي سيهدين وهذا الاستغراق
قل ما يثبت ولا يدوم فان دام وصار عادة راسخة وهيئة ثابتة عرج به
الى العالم الاعلى وطالع الوجود الحقيقي الاصفى وانطبع له نقش الملكوت
وتجلى له قدس اللاهوت واول ما يتمثل له من ذلك العالم جواهر الملائكة
وارواح الانبياء والاولياء في صورة جميلة يفاض اليه بواسطتها بعض
الحقائق وذلك في البداية الى ان تعلو درجته عن المثال ويكافح بصريح الحق
في كل شيء فصل ثم لباب الذكر وانما صير الغذاء ذكر اللسان ثم ذكر
القلب تكلفا ثم ذكره طبعا ثم استيلاء المذكور وامحاء الذكر وهذا سر
قوله صلى الله عليه وسلم من احب ان يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله
بل سر قوله صلى الله عليه وسلم يفضل الذكر الخفي على الذكر الذي تسمعه الملائكة

الحفظة بسبعين ضعفا **وعلامة** وقوع الذكر الى السر غيبة
الذاكر عن الذكر والمذكور. فيذكر السر لهيمان والغرق فيه عن الغيبة الى
الحضور. ومن علامته انه اذا ارتقى الذكر لم يرتد عنه وان لهيمان الذكر
فيه لينبهه من الغيبة الى الحضور ومن علامته عند الذكر الصحة واعطاء
جمعا فيتكون كالمنشور بل كالسلاسل والقيود ومن علاماته انه لا تخمد نيرانه
ولا تذهب انواره بل ترى ابدا انوارا صاعدة واخرى نازلة والنيران حواليه
ضاحية فتتاجج وتتغرغر. واذا وقع الذكر الى السر يكون الذكر عند سكوت
الذاكر كأنه غرز الحديد في لسانه وان وجهه كله لسان يذكر بنور ولا يخرج عنه
دقيقة اعلم ان كل ذكر يشعر به قلبك تسمعه الحفظة فان شعورهم
يقارن شعورك وفيه سر حتى اذا غاب ذكرك عن شعورك بذهابك في المذكور
بالكلية يغيب ذكرك عن شعور الحفظة **تنبيه** ذكر الحروف بلا حضور
هو ذكر اللسان وذكر الحضور في القلب ذكر القلب وذكر الغيبة عن الحضور
في المذكور ذكر السر وهو الذكر الخفي **فصل** رزق الظاهر بحركات
الاجسام. ورزق الباطن بحركات القلوب. ورزق السر بالسكون. ورزق
العقل بالفناء عن السكون حتى يكون العبد ساكنا لله مع الله وليس في الغيرة
قوت في ملك الارواح والملائكة غذاء الا التسبيح. وقوت الارواح والقلوب ذكر الله
علام الغيوب. قال الله العظيم الذين امنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر
الله تطمئن القلوب. واذا ذكرت الله ذكر معك كل من سمعك لانك تذكر بلسانك
ثم بقلبك ثم بنفسك ثم بروحك ثم بعقلك ثم بسرك كله في الذكر الواحد
واذا ذكرت الله بلسانك ذكر معك كل لسان الجمادات كلها واذا ذكرت
بقلبك ذكر معك قلب الكون وما فيه من عوالم الله. واذا ذكرت بنفسك
ذكر معك السماوات وما فيهن. واذا ذكرت بروحك ذكر معك الكرسي
وما فيه من عوالمه. واذا ذكرت بعقلك ذكر معك حملة العرش ومن طاف به من
الملائكة الكروبيين وارواح المقربين. واذا ذكرت بسرك ذكر معك العرش
بجميع عوالمه الى ان يتصل الذكر بالذات **تنبيه** دقيقة النفس هي الجوهر

البخاري

البخاري اللطيف الحامل لقوة الحياة والحس والحركة الارادية وسماها
الحكيم الروح الحيوانية وهو الواسطة بين القلب الذي هو النفس الناطقة وبين
البدن قيل وهي المشار اليها في القرآن العزيز بالشجرة الزيتونة الموصوفة
بكونها مباركة لا شرقية ولا غربية لازدياد رتبة الانسان وتزكيته لعلو انوارها
ليست من شرق عالم الارواح المجردة ولا من غرب الاجسام الكثيفة وهي
امارة ولوامة ومطمئنة **فالنفس** الامارة بالسوء هي التي تميل
للطبيعة البدنية وتأمر باللذات والشهوات الحسية وتجذب القلب الى الجهة
السفلية فهي مأوى الشرور ومنبع الاخلاق الذميمة والافعال السيئة وهي
نفس العامة وهي مظلمة والذكر لها كالسراج الموقد في البيوت المظلمة
والنفس اللوامة هي التي تنورت بنور القلب تنورا ما تنبهت به
من سنة الغفلة فتيقظت وبدأت باصلاح حالها مترددة بين جهتي الربوبية
والخلقية وكلما صدر منها سيئة بحكم جبلتها الظلمانية وسجيتها
تداركها نور التنبيه الالهي فاخذت تلوم نفسها وتتوب عنها مستغفرة
راجعة الى باب الغفار الرحيم ولهذا نوه الله بذكرها في الاقسام بها في قوله
تعالى لا اقسم بيوم القيامة ولا اقسم بالنفس اللوامة وكأنها بمنزلة من الفى
في بيته ملأ من كل مذموم كنجاسة وكلب وخنزير ونمر وفيل فيجتهد
في اخراجها منه بعد ان تلطخت بتلك النجاسات وتمزقت من انواع السباع
فلازم الذكر والانابة حتى يظهر سلطان الذكر عليهم فيخرجهم من بيت
من العافية فلا يزال يجتهد في جمع اموات البيت حتى يتزين البيت بانواع
المحمودات فيتقبلها ويصلح البيت لنزول السلطان فيه فاذا نزل فيه
السلطان وتعلق الخيمات مطمئنة وهي التي تنورها بنور القلب حتى
انخلعت عن صفاتها الذميمة وتخلقت بالاخلاق الحميدة وتوجهت الى جهة
القلب بالكلية متابعة له في الترقي الى جناب عالم القدس متنزهة
عن جانب الرجس مواظبة على الطاعات ساكنة الى حضرة رفيع الدرجات
حتى خاطبها ربها بقوله يا ايتها النفس المطمئنة الراجعة الشكورة

الفصل الأول في فضيلة الذكر من الكتاب

قال الله العظيم يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه
بكرة وأصيلا وقال تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم
الآية وقال تعالى والذاكرين الله كثيرا والذاكرات الآية وقال تعالى
فاذكروني أذكركم وقال تعالى الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم الآية
وقال تعالى واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والإبكار وقال تعالى واذكر
اسم ربك بكرة وأصيلا

الفصل الثاني في فضيلة من السنة وفيه فصول

الفصل الأول فيما ورد في فضل الذكر والاجتماع عليه

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال خرج
معاوية على حلقة في المسجد فقال ما أجلسكم قالوا جلسنا نذكر الله
قال آلله ما أجلسكم إلا ذاك قالوا آلله ما أجلسنا إلا ذاك قال أما
إني لم أستحلفكم تهمة لكم وما كان أحد بمنزلتي من رسول الله صلى الله
عليه وسلم أقل عنه حديثا مني وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج
على حلقة من أصحابه فقال ما أجلسكم قالوا جلسنا نذكر الله تعالى ونحمده
على ما هدانا للإسلام ومن علينا به قال آلله ما أجلسكم إلا ذاك قالوا
آلله ما أجلسنا إلا ذاك قال أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم ولكنه أتاني
جبريل فأخبرني أن الله يباهي بكم الملائكة أخرجه مسلم والترمذي وأخرج
النسائي المسند فقط وزاد رزين قال ثم حدثنا فقال ما اجتمع قوم في بيت
من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم ويذكرون الله إلا نزلت
عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن
عنده عن أبي مسلم الأغر قال أشهد على أبي هريرة وأبي سعيد أنهما شهدا
على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يقعد قوم يذكرون الله إلا
حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن
عنده أخرجه مسلم والترمذي والسكينة من السكون والطمأنينة
قال القاضي عياض في قوله صلى الله عليه وسلم تلك السكينة نزلت لقراءة

القرآن

القرآن وفيه الرحمة وقيل الطمأنينة وقيل الوقار وما يسكن به الإنسان
وحقيقة الكلام هنا المعروف وحكي عن بعض المفسرين فيها التشديد
وذكر عن الفراء والكسائي وقد يحتمل أن التي نزلت لقراءة القرآن هي السكينة
التي ذكر الله تعالى بقوله فيه سكينة من ربكم وقد قيل إنها شيء كالريح
وقيل خلق له وجه كوجه الإنسان وقيل روح من الله يكلمهم ويخبرهم ويبين لهم
إذا اختلفوا في شيء وقيل فيه غير هذا وما ذكرناه يحتمل أن يكون مثل هذا
على من قرأ القرآن أو يجتمع للذكر كما قال حملة الروح والملائكة ونحو ذلك
أعلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يسير في طريق مكة على جبل يقال له جمدان فقال سيروا هذا جمدان سبق
المفردون قالوا وما المفردون يا رسول الله قال الذاكرون الله كثيرا هذه
رواية مسلم وفي رواية الترمذي قالوا يا رسول الله وما المفردون قال
المستهترون بذكر الله يضع الذكر عنهم أثقالهم فيأتون يوم القيامة
خفافا المفردون بفتح الفاء وكسر الراء المشددة وقيل بإسكان الفاء
وكسر الراء تخفيفا من أفرد الرجل في روايته وفرد بالتخفيف والتشديد وأفرد
واستفرد كله بمعنى انفرد واستقل وتفرد بتدبيره والمراد به الذين تفردوا بذكر
الله وقيل هم الذين هلكت أقرانهم من الناس وذهب القرن الذين كانوا فيه وبقوا
بعدهم فهم يذكرون الله والمستهترون بالشيء المولع به المواظب عليه
عن حب له ورغبة فيه وقال القاضي عياض في المشارق وقال ابن الأعرابي يقال فرد
الرجل يتفرد بالرأي إذا تفقه واعتزل الناس وخلا بنفسه وحده
مراعيا للأمر والنهي وقال الأزهري هم الذين تخلوا بذكر الله لا يخلطون
به غيره وقيل معنى اهتروا أصابهم خبال وقيل المفردون الموحدون الذين لا
يذكرون إلا الله أخلصوا لله عبادتهم وقيل أيضا معناه مثل قولهم فني فلان
في طاعة الله أي لم يزل مراعيا لها حتى أفنى بالهرم وذهب القوم وقيل
معنى اهتروا أولعوا عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل